غامبيا دراسة في التاريخ السياسي حتى عام 1816م

The Gambia: A Study in Its Political History Until 1816

أ. م. د. ستار حامد عبد الله العماري

جامعة بابل/كلية التربية للعلوم الانسانية

أ. م. د. الهام حمزة منسي

جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الانسانية

A.M.D. Sattar Hamed Abdullah Al-Ammari

University of Babylon/ College of Education for the Hunnanities-Department of History

Hum.star.hamed@uobabylon.edu.iq

A.M.D.llham Hamza Mansi

University of Babylon College of Educatory for the Hunnanities-Departinent of History

المقدمة

تعد غامبيا التي تقع في الجزء الغربي من قارة افريقيا واحدة من اقرب البلدان الى اوروبا الغربية، لذا كانت تتعرض منذ التاريخ القديم الى الكثير من المحاولات الكشفية التي هي مقدمة او البدايات الاولى للسيطرة على هذا البلد، لاسيما أن لها اهميتها الاستراتيجية والاقتصادية التي جعلت منها محط للانتظار عده ممالك ودول اخرى تنتظر الفرصة السانحة لتحقيق مبتغاها والسيطرة على غامبيا التي تعد جزء من العالم القديم وحلقة للتنافس الاوروبي والذي اسهم في تردد الطامعين من الدول الممالك الاخرى في محاولة السيطرة عليها هي ان غامبيا ليست لديها من القوة العسكرية التي تمكنها من التحدي لأي محاولة عسكرية ضدها وعلى الرغم من اهمية هذا البلد وسيبدأ احداثه السياسية والعسكرية على صعيد القارة الاخرى الأفريقية والتنافس الدولي حوله، الا انه لم نجد في مصادرنا العربية والدراسات الأكاديمية حوله الا مقتطفات من ذلك التاريخ المهم لذا اقتضت الضرورة البحث في هذا الموضوع وعلى هذا الاساس،

اختيرت الدراسة للبحث بعنوان غامبيا دراسة في التاريخ السياسي حتى عام 1816م للتعرف على اهم الاحداث وتطورات الاحداث السياسية التي حصلت خلال تلك المدة التاريخية.

قسم البحث الى مقدمة ومبحثان وخاتمة، جاء المبحث الاول بعنوان التطورات السياسية في غامبيا قبل الاستكشافات الجغرافية، في حين ان المبحث الثاني سلط الضوء على التنافس والصراعات الدولية في غامبيا بعد عام 1455.

Abstract

Tueadu ghambia alati taqae fi aljuz' algharbii min qarih afriqia wahiduh min aqrab albuladan alaa awrwbaa algharbiat, lidha kanat tataearad mundh altaarikh alqadim alaa alkathir min almuhawalat alkashfiat alati hi muqadamuh aw albidayat alawla lilsaytarat ealaa hadha albladu, lasiama 'ana laha ahimiataha alastiratijiat walaiqtisadiat alati jaealat minha mahatun lilaintizar eadah mamalik wadual akhraa tantazir alfursat alsaakhinat litahqiq mubtaghaha walsaytarat ealaa ghambia alati tueadu juz' min alealam alqadim wahalqih liltanafus alawrubiy waladhi ashum fi eadid taradad altaamieayn min alduwal almamalik alakharaa fi mahawilih alsaytarat ealayha hi an ghambiaa laysat ladayha min alqawh aleaskariat alati tumakinuha min altahadiy li'ayi muhawilih easkarih didaha waealaa alraghm min ahimyh hadha albalad wasayabda aihdathah alsiyasiat waleaskariat ealaa saeid alqarih alakhraa al'afriqiat waltanafus alduwalii hawlahu, ala anah lam najid fi masadirina alearabiat waldirasat al'akadimiat hawlahu, ala muqtatafat min dhalik altaarikh almuhimi lidha aiqtadat aldarurat albahth fi hadha almawdue waealaa hadha alasas , aukhtirat aldirasat lilbahth bieunwan ghambia dirasatan fi altaarikh alsiyasii hataa eam 1816m liltaearuf

المبحث الاول

لمحه تاريخيه عن التطورات السياسية في غامبيا قبل الاستكشافات الجغرافية:

تقع غامبيا في غرب افريقيا، وتعد واحده من اصغر الدول الأفريقية مساحة، تبلغ مساحتها 11,295 كم، وتقع بين خطي طول من 14–16 غرباً، ودائرتين عرض من 13– 14 شمالاً، وتطل على

أ. م. د. ستار حامد عبد الله العماري

أ.م. د. الهام حمزة منسي

المحيط الاطلسي من جهة الغرب؛ ولها امتداد ساحلي بطول 80 كم، وذات حدود مشتركه بحوالي 740 كم مع السنغال[1].

اشارت التنقيبات الأثرية التي عُملت في غامبيا الى ان وجود المستوطنات البشرية فيها كان يعود الى عصور متأخرة من تاريخ قبل الميلاد، واشاره ذلك ايضاً هانوا القرطامي في كتاباته عن رحلاته الاستكشافية التي قام بها في السواحل الغربية من افريقيا عام 470 ق م[2].

كان المجتمع الغامبي خليط من اسلاف شعب الجولا والولوف التي استوطنت على ضفاف نهر غامبيا واخذت العمل في الزراعة لسد قوتها اليومي وكان يسودها نظام الطبقات فالمجتمع مقسم الى عده طبقات، يأتي على راس الهرم الملك وعائلته، وفي المرتبة الثانية طبقه المستشارين للملك، وبعدها طبقه الفلاحين وهي اسفل الهرم طبقه العبيد، وهذا لا يعني ان الأخيرة هي بمعزل من الطبقات الاخرى بل على العكس من ذلك فهي جزء من الأسرة التي تنتمي اليها لذلك لا يمكن حسب العادات والاعراف السائدة في غامبيا بيع العبيد او قتلهم الا بعد ادانته بجريمة ما قد ارتكبها[3].

يتضح مما تقدم ان سياسة التعامل مع العبيد من قبل السلطات الحاكمة اختلفت عن السياسة التي كانت تنتهجها مثيلتها في الدول الاوربية وهذا ما يفسر لنا التمايز العنصري كان بزغ الى الوجود بشكل فاق بكثير مما كان سائداً في افريقيا بشكل عام.

وفي افريقيا بشكل عام بما فيها غامبيا كان النظام الاجتماعي قائم على صلة القرابة فأفراد العائلة الذين هم من اصل واحد من جهة الاب كانوا يشكلون مجموعة مستقلة، يتولى الاشراف عليها الاب، او من هو اكبر سناً فيها، الا ان ذلك الاشراف لا يتيح له الاستحواذ على ارث تلك العائلة، انما فقط الاشراف عليها وتنظيم العمل بما يتحقق الفائدة الاقتصادية لجميع افرادها، وتسمح قوانين الأخيرة انتقال ذلك الاشراف من الاب الى الابن او من الاخ الى اخيه الثاني او من الخال الى ابن اخته[4].

---

(1) محمد رياض، افريقيا دارسة لمقومات القارة، دار النهضة العربية، بيروت، 1992، ص77.

(2) Melissa marang, Gambian English syntactic Fratures of awest Afreican Varity of the English LANGUAGE, Graz, 2019.p.13.

(3) Flovrrnce K. Omolava Mahoney, Government and Opinion the Gampin 1816–1901, Landon, 1963, P. 12.

(4) رنيس بولم، الحضارات الافريقية، ترجمة علي شاهين، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، 1974، ص121.

اما الديانة في بلدان غرب افريقيا بشكل عام ومنها غامبيا فكانت تقوم على اساس التنظيم الاسري اي عبادة الاسلاف وتقديس ارواحهم، واصبح ذلك جزء مهم من النظام العقائدي لشعوب افريقيا اعتقاداً منهم بان تلك الارواح هي التي تقوم بحمايتهم من الشر بواسطه تقديم القرابين لها، وهذا ما يساعد على الحفاظ على العلاقات الودية مع تلك الارواح حسب اعتقادهم، فضلاً عن عبادة الكائنات الحيه ذات القسوة الجسمانية التي اعتقدوا بانها هي المسؤولة عن منح الحياه بشكل عام[5].

وفي اوائل القرن الثامن الميلادي بداء انتشار الاسلام في غامبيا بواسطة التجار والعلماء والرحالة المسلمين الذي وفدوا الى ذلك البلد فضلاً عن قبائل البربر المقربية وبهذا ازدياد انتشار الدين الاسلامي هناك على الرغم من التحديات الداخلية والخارجية التي تمثلت بالضغوط واساليب القوى الاستعمارية الغربية التي حاولت دون انتشاره هناك[6]، وهذا ما اسهم في دخول اللغة العربية الى غامبيا، اذ ارتبط انتشارها في الأخيرة بدخول الاسلام اليها ايضاً، فبعد اعتناق بعض السكان ذلك البلد الدين الاسلامي اكتسبت اللغة العربية طابعاً دينياً واصبحت اللغة المقدسة بوصفها لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وتزايد عدد من يتحدثون تلك اللغة التي امست من اهتمامات المجتمع الغامبي، لا سيما وانه بأمس الحاجه لها في قراءة القرآن واداء الصلوات وفهم تعاليم الدين الاسلامي، والتعرف على تراثه الحضاري والثقافي[7].

يتضح مما تقدم ان انتشار الاسلام في غامبيا وبشكل متزايد ربما جاء ذلك بسبب ما كان يتعرض لها شعوب افريقيا بشكل عام ومنها شعب غامبيا من سوء معاملة السلطات الحاكمة في تعاليم الدين الاسلامي، ما ينقذهم من ذلك الواقع السيء لا سيما وان تلك التعاليم قد تنص على احترام حقوق الانسان، والمساوات بين طبقات المجتمع المختلف بغض النظر عن الصنف واللون، واما ضغوط القوة الاوربية الاستعمارية للعر من انتشاره هنالك الا دليلاً على الخوف الذي كان يراودها بأن التعاليم التي جاء بها الاسلام تتعارض مع مصالحهم ونواياهم الاستعمارية، وربما ينتهي الأمر الى ثورات داخلية نتيجتها بالإطاحة بالأنظمة الحاكمة التي كان معظمها تحت هيئة القوة الأوربية.

وفي صعيد اخر ان غامبيا من دول غرب افريقيا ذات الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية على الصعيد الاقليمي والعالمي، وجاءت تلك الأهمية من موقعها الجغرافي فهي تواجه المحيط الاطلسي بساحل بلغ طوله 80 كم، وقربها من غرب اوروبا وامريكا الشمالية فضلاً عن وجود نهر غامبيا الذي يتميز بصلاحيته للملاحة واراضي حوضه الصالحة لإنتاج الزراعي، وغناه بالأسماك ومنتجات الغابات المختلفة

---

(5) احمد طاهر، افريقيا فصول من الماضي والحاضر، دار المعارف، القاهرة، 1975، ص96.

(6) ابراهيم محمد احمد يلولة، الهجرات والقوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى واثرها في نشر الاسلام والحضارة الاسلامية، مجلة دراسات دعوية، العدد 9، 2005، ص79- 80.

(7) عبد عثمان بيتمي، التعليم العربي والسلامي في غامبيا بين الواقع والمستقبل، د.م، 2018، ص16-17.

التي كانت وما زالت تلقى رواجاً في الاسواق الأوروبية والأمريكية، وان تلك الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية لغامبيا جعلتها محط انظار الممالك والدول الاخرى التي اتاحت لها الظروف الفرصة السانحة لتحقيق مبتغاها، ان غامبيا كانت ليس لديها من القوة العسكرية ما يمكنها من الدفاع عن اراضيها والتصدي لأي غزوات خارجيه، لذلك قامت مملكة غانا في القرن الخامس الميلادي من غزو ذلك البلد واحتلاله[8].

وبعد ان بلغت مملكة غانا اوج قوتها في المدة التاريخية الواقعة بين القرن التاسع والعاشر الميلادي اتسعت رقعتها الجغرافية وامتدت حدودها كثيراً، وتعددت قبائلها التي كانت في نزاع وصراع دائم حول بعض الاراضي والممتلكات العامة الامر الذي انعكس سلباً على اوضاعها الداخلية التي شهدت توتراً ملحوظاً شكل خطراً واضحاً على الاوضاع العامة للمملكة واضعف من مؤسساتها العسكرية التي انتهكتها تلك التمردات والصراعات القبلية، وبذلك وقفت تلك المؤسسة عاجزه امام الغزوات الخارجية التي قام بها المرابطون بقصد نشر الاسلام هناك، وهذا كان سبباً في خسارتها لبعض اراضيها الواسعة، وتمكنت ايضا قبائلها المتنازعة وبتحريض من المرابطين من الانفراد والاستيلاء على بعض تلك الاراضي ومحاولة الانفصال عن المملكة غانا، وحذت حذو تلك القبائل الممالك التابعة لغانا ومنها مملكة دياراً، وغلام، وبهذا امست غانا في وضع لا تحسد عليه، اذ وجد ملك مالي وهو (سوند ياشاكيتة) في تلك الظروف التي تمر بها تلك المملكة الفرصة السانحة للاستيلاء عليها، لذلك زحف نحوها بقواته العسكرية في عام 1235م وبعد سلسله من المعارك الدموية تمكن من فرض سيطرته على الاراضي والبلدان التابعة لها واحدا تلو الاخرى وبهذا امست غامبيا تحت سيادة مملكة مالي[9]، او ما تعرف بإمبراطورية الماندينغ، التي سمحت لبعض القبائل المنفذة هناك من تأسيس بعض الممالك مثل مملكة سولو (salaum) التي كانت تقطن في الاراضي الواقعة ما بين نهر غامبيا ونهر السنغال الى الجنوب من الرأس الأخضر[10].

ان سيطرة مالي على غامبيا لا يعني ذلك الى ان الأخيرة اصبحت في منأى عن التنافس الاوروبي الذي بدا بحركة الاستكشافات الجغرافية في افريقيا بشكل عام في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، اخذ الاوروبيون منذ ذلك الوقت بالرحيل الى خارج اوروبا لغايات اقتصاديه واستعماريه تمثلت في البحث عن

---

[8]. الموسوعة الجغرافية للعالم الاسلامي، الرياض، 1999، ص415- 418.

[9]. نعيم قراح، افريقيا الغربية في ظل الاسلام، مطبعة الوحدة العربية، دمشق، 1960، ص27- 31؛ فيج جي وي، تاريخ غرب افريقيا، ترجمة السيد يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة، 1983، ص54.

[10]. عصمت عبد اللطيف دنتش، دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب افريقيا، 1038- 1121، دار العربي الاسلامي، بيروت، 1988، ص45.

الذهب وتحديد مناطق النفوذ للحصول على امتيازات لشركاتهم التجارية فضلاً عن نشر المسيحية هناك حتى يتمكنوا من الاستيطان في تلك المناطق واعلانها مستعمرات تابعه لهم[11].

يتضح مما تقدم ان غامبيا كانت ذات اهمية كبيرة على صعيد القارات الافريقية، لذلك كانت هدفاً مشوداً لبعض الممالك الأفريقية التي اتصفت هي الاخرى ان لديها نوايا استعمارية على صعيد تلك القارة، وبذلك فان تلك المماليك لم تتردد في اتخاذ أي خطوة لتحقيق مبتغاها والاستيلاء على اراضي وبلدان جديدة متى سمحت الفرصة بذلك.

المبحث الثاني:

التنافس والصراعات الدولية في غامبيا بعد عام 1455:

بدأت الاستكشافات الأوروبية لغامبيا في عام 1455 عندما قام هنري الملاح بتكليف احد الرحالة وهو دي كاداموستو (De Cadamosto) برحله الى ضرب افريقيا فوصل بسفينته الى هناك متجه نحو نهر غامبيا[12] ،وحينما لم يكن لديه العلم بأنه قد ابعد الى مناطق ذات واقع عرفي وسياسي معقد قائم على الاعراف والتقاليد الاجتماعية المتعصبة، فعلى الرغم من انه تمكن من اكتشاف المناطق الواقعة على طول ساحل غينيا وامتداد من نهر غامبيا الى نهر جيبا، الا انه واجه ظروفاً صعبة تمثلت في التصدي له و محاوله منعه من قبل قوه عسكرية تابعة لمملكة نيومي وهذا ما ارغمه على التوقف عند مصب نهر غامبيا والرجوع الى بلاده ،وبعد عام من ذلك التاريخ عاد مره اخرى برحلته الى غرب افريقيا وسار عميقا في نهر

---

(11). احمد ابراهيم دياب، افريقيا بين المفاهيم الحضارية والممارسات العنصرية، مجلة دراسات افريقية (بحوث نصف سنوية)، العدد الرابع، رجب، 1989، ص48.

(12). Florence K,ad Omoiara Mahoney ,OP,Cit,P,1,

غامبيا، والتقى ومعه افراد رحلته بالسكان هناك في اجواء اختلفت عن رحلته الاولى فلم يلاقي اي تصدي له من قبل الممالك القاطنة هناك، او تطور الامر الى القيام ببعض عمليات التبادل التجاري[13].

والواقع لم تكن مملكة نيومي هي الوحيدة هناك، فتوجد عدة ممالك اخرى في مقدمتها مملكة ماندينكا (Mandinka) التي كانت لديها قوة عسكرية تمكنت من خلالها بسط نفوذها على معظم نهر غامبيا في ذلك الوقت .[14]

يرى الباحث ان عدم تصدي مملكة نيومي لرحلة دي كادموستو الثانية قد يفسر بأكثر من رأي الأول ربما يكون هذا التعبير في سياستها تجاه تلك الرحلة ربما جاء تحت تأثير التهديد العسكري بغزوه تلك المناطق من قبل البرتغال لاسيما وان لديها من القوة العسكرية التي تمكنها من ذلك، وفي رأي اخر انه ربما ارادت تلك المملكة الى عدم انفراد مملكة ماندينكا في التعامل مع البرتغاليين في التجارة وغيرها من الامور الاخرى، لا سيما وان البرتغال لديهم الخبرة في عمليات التبادل التجاري ، لهذا ارادت الاستفادة منهم في النهوض بالوضع الاقتصادي لها.

واصل البرتغاليين رحلاتهم الاستكشافية الى غرب افريقيا فقام الملك جون الثاني بأرسال عدة رحلات الى ذلك الجزء من القارة الأفريقية كان يرمي من وراء ذلك تأسيس مملكة مسيحية هناك لتكون قاعدة له للتوغل من خلالها الى الهند[15].

وفي الصعيد نفسه استمرت الرحلات الى غرب افريقيا ففي عام 1458 اقام دينغو جوميز(Diogo Comez) بثلاث رحلات الى نهر غامبيا اسهمت في تزايد عمليات التبادل التجاري، وارسال بعض البعثات التبشيرية الى غامبيا فاخذ المبشرون الاستقرار هناك وتبعهم في ذلك طبقات المجتمع البرتغالي الاخرى وتطور الامر الى تزويج البرتغاليين من نساء غامبيا الأمر الذي انعكس ايجابياً على العلاقات القائمة بينهما وتزايد النفوذ البرتغاليين هناك.

وبعد ان تمكن فيليب الثاني من فرض سيطرته على البرتغال واعتلائه العرش عام 1580 تدهورت الأوضاع الداخلية في البلاد وحصلت بعض النزاعات والصراعات بين انصار الملك من جهة وانطونيوبريو كراتولا وانصاره من جهة اخرى اذ حاول الاخير اعلان نفسه ملكاً على البرتغال مستغلا سخط الرأي العام في البرتغال ضد فيليب الثاني، وتطور الأمر الى تمردات واسعة شكلت خطراً على الأوضاع العامة في البلاد

---

[13] Matthew James Park, Heart of Barjwl the History the Gambia 1816,1965.

[14] زاهر رياض، استعمار افريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965،ص12.

[15] Matthew James Park , OP , P3.

ورداً على ذلك اعز فيليب الثاني الى اتباعه بالقضاء على هؤلاء المتمردين الأمر الذي ارغم فرانسيسكو فيريرا وهو احد المستكشفين الجغرافيين البرتغاليين الأصل ومن المعارضين للملك فيليب الثاني الى ترك بلاده واللجوء الى انكلترا عام 1587 ومن هناك ابحر على رأس احد السفن الإنكليزية الى غامبيا وعادت بفوائد اقتصاديه تمثلت بجلب كميات من الجلود والعاج وغيرها من المواد الأخرى(16).

لم تكن فرنسا بعيدة عن ذلك التنافس الاوروبي في غرب القاره الأفريقية ،لاسيما وان فرنسا كانت لها عمليات تبادل تجاري واسعه مع ذلك الجزء حاولت من خلالها ايضاً تكون مستوطنات فرنسية هناك الا ان تلك المحاولات انتهت عام 1612 في غامبيا والسبب في ذلك يكمن في تفشي الامراض والأوبئة التي عصفت بالفرنسيين هناك(17).

وفي تطور لاحق ونتيجة للتدهور السائد والظروف الأنفة الذكر التي تمر بها البرتغال اعلنت الأخيرة عن بيع حقوق التبادل التجاري في غامبيا الى انكلترا التي بدأت بمنح امتيازات للتجارة والمستكشفين المتجهين صوب غرب افريقيا، وبناء على ذلك قام المستكشف الجغرافي ريشار جويسون الأول برحلته لاستكشافية عام 1620، اذ ابحر الى نهر غامبيا قاطعاً مسافات طويله الى ان وصل الى شلالات كوندا (Bara Cunda) بحثاً عن الثروات الطبيعية وفي مقدمتها الذهب، وكان ريشارد جويسون يتسم بالطابع الانساني اذ رفض عرضاً من احد التجار الافارقة هناك تضمن بيع الرقيق له قائلاً (انه لا يمكن التعامل مع البشر كعملة) وبعد عودته الى بلاده قدم وصفاً موجزاً عن تلك الرحلة وما يتواجد في غامبيا من ثروات يمكنها ان ترفد خزينة بلاده بفوائد مالية باهظة، وفي عام 1624 نشر جويسون رحلته هذه بعنوان التجارة الذهبية (The Golden Trade) وهذا لا يعني ان انكلترا كانت بعيدة عن تجارة الرقيق بل على العكس اخذت تلك التجارة حيزاً واسعاً من نشاطها التجاري، ولا سيما وان مستعمراتها في امريكا كانت بحاجة ماسة الى تلك الايدي العاملة، فضلاً عن بيع هؤلاء العبيد من قبل التجار الانكليز الى فرنسا واسبانيا وغيرها من الدول الأوروبية الاخرى(18).

وبعد ذلك تزايدت حدة التنافس الاوروبي حول احتلال الجزء الغربي من القارة الأفريقية بشكل عام ومنها غامبيا، وبما ان الانكليز ادركوا ان تأسيس الشركات التجارية لها الأثر الواضح في التنافس التجاري مع الدول الأوروبية الأخرى التي كانت تصبوا الى فرض سيطرتها واحتكار التجارة في غرب افريقيا، لذ سارعوا الى تأسيس شركات تجارية في الربع الاول من القرن السابع عشر في مقدمتها الشركة الملكية للتجارة

---

(16) Faal Edrissa M. .Juvenile Deling uency in The Gambiag Banjul. 1974. P.63.

O

(17) MELISSA Marong Gambian English Syntactic Features of awest African Variety of the English Language. 2019.P.14.

(18) I pid. P. 14.

في جزيرة جيمس التي تقع على بعد حوالي 32 كم من مصب نهر غامبيا، والشركة الملكية للمغامرين في تجارة افريقيا، وتمكنت تلك الشركات من الحصول على امتيازات تجارية هناك[19]

وفي عام 1651 انشأت شركة غينيا اول محطة تجارية لها في غامبيا وتزامن ذلك مع تزايد حدة الخلافات والنزاعات ما بين الامير روبرت الاول خارج البلاد، ورداً على ذلك بدأ الاخير بعدة محاولات قرصنه ضد السفن التجارية الإنكليزية في غرب افريقيا فقام بالهجوم مع اتباعه على سفن شركة غينيا التجارية فتعرضت الى خسائر كبيره الامر الذي ارغمها على عدم القيام باي تبادل تجاري مع غامبيا بعد تلك الحوادث الاخيرة[20].

وفي تطور لاحق وبميثاق ملكي اصدره الملك تشارلز الثاني عام 1663 تم منح شركة رويال افريكان (Royal Adventurers) حق احتكار تجارة انكلترا على طول الساحل الغربي لأفريقيا وشراء وبيع ومقايضة اي عبيد الى المستعمرات الإنكليزية في الأمريكيتين ومن اجل تسهيل عملية التبادل التجاري عملت انكلترا على نشر اللغة الإنكليزية في غرب افريقيا ومنها غامبيا اذ قامت بجلب بعض الافارقه اليها لتلقي التعليم باللغة الإنكليزية وكان ذلك بداية لانتشار تلك اللغة في غامبيا والتي اصبحت فيما بعد لغة التبادل التجاري بين الانكليز والافارقه في المناطق الساحلية المختلفة.

اما دوقية كولاندا فهي الاخرى كانت تطمح في الاستيلاء على الثروات الطبيعية لغامبيا، لذلك تمكنت في النصف الثاني من القرن السابع عشر من تأسيس اول مستعمرة لها في افريقيا في جزيرة سانت اندروز الواقعة على نهر غامبيا، وقامت بتأسيس حصن جاكوب هناك، واسهم ذلك في تزايد التبادل التجاري في مواد الذهب والعاج والتوابل وغيرها من المواد الاخرى، الا ان ذلك لم يستمر طويلاً، اذ قام الانكليز بالهجوم على ذلك الحصن والاستيلاء عليه، الامر الذي ارغم دوقية كودلاند على الانسحاب من هناك، واعيد الانكليز تسمية ذلك الحصن باسم حصن جيمس فورت[21].

اما الهولنديين لم تتسنى لهم فرصة الحصول على امتيازات تجارية في غامبيا في تلك المدة التاريخية، قاموا بعد محاولات للاستيلاء على بعض الجزر والحصون هناك ففي النصف الثاني من القرن السابع عشر قامت احدى الشركات الهولندية بمحاولة الاستيلاء على حصن جيمس فورت متخذة من اسلوب تحريض اهالي غامبيا واثارة سخط الرأي العام ضد الانكليز وسيلة لتحقيق ذلك، بيد ان ذلك لم ينتهي الى

---

(19). فيج جي دي، المصدر السابق، ص143.

(20). Mattew Games Park, OP. Cit, P.3.

(21). Ibid.

نتيجة تذكر لذلك اتخذت اسلوب اخر تمثل في استخدام القوى العسكرية والتقدم صوب الحصن المذكور وهذا ايضاً باء بالفشل، لذا استمرت انكلترا في فرض سيطرتها واحتكار التجارة في ذلك الجزء من غرب القارة الأفريقية.

ولم تكن تلك التطورات هي الأخيرة على صعيد التنافس الاوروبي في غامبيا، اذ تزايدت حدة التنافس مرة اخرى بين انكلترا وفرنسا حول بعض الجزر والحصون والمراكز التجارية هناك، ففي عام 1681 تمكنت فرنسا من السيطرة على احد المراكز التجارية وهي البريدا (Aibreda) وهذا ما اثار حفيظة الانكليز الى الحد الذي اشتبكوا فيه مع الفرنسيين في سلسلة من القتال الدامي ارغموا فيه القوات الفرنسية على الانسحاب من ذلك الحصن في غامبيا[22].

وفي نهاية عام 1749 ظهر نشاط جديد تمثل في عملية مسح المواقع، ورسم الخرائط الجغرافية لبعض بلدان غرب افريقيا، ولا سيما وانها اي الخرائط اصبحت هي من المصادر ذات الأهمية البالغة للتعرف على تلك المواقع وتحديدها وهذا ما يساعد الدول الاستعمارية للأستيلاء على ذلك الجزء من القاره الأفريقية ووضع الخطط اللازمة لتنفيذ ذلك، وكانت فرنسا هي اكثر خبرة ودقة في هذا المضمار، لذلك فان بريطانيا سعت للحصول على بعض هذه الخرائط التي قام برسمها الفرنسيين، وبالفعل تمكنت وبمبالغ مالية باهضه من تنفيذ ذلك، وبعدها تزايد اهتمام بريطانيا بهذا الجانب واصبح لديها من الخبرة في ذلك، مخصصات لبعض شركاتها ومنها شركة رويال افريكان (Royal African) بعض المساحين بهذا الاختصاص، وفي مقدمتهم ويليام سميث (Wilam Smith) الذي قدم عرضاً دقيقاً لبعض البلدان في غرب افريقيا ومنها غامبيا، وتوماس باي(Thomas Pye) الذي قام بعملية مسح لبعض القلاع والحصون الواقعة على نهر غامبيا وقدم تقريراً واشار فيه الى تلك القلاع والحصون بحاجة ماسة الى اعادة اصلاحها والاهتمام بها وتطوير وسائل الدفاع عنها خوفاً من اي تنافس اوروبي لبلاده هناك[23].

واستجابة لما ذكر اعلاه اصدر مجلس العموم البريطاني في عام 1755 عدة قرارات وبهذا الشأن نصت على ضرورة ارسال ذوي الاختصاص بهذا الجانب الى هناك واجراء دراسة شاملة ودقيقة، ووضع الخطط اللازمة لإعادة اصلاح القلاع والحصون وتطوير وسائل الدفاع عنها، لذلك منحت وزارة الخزانة البريطانية عام 1761 عشرة الاف جنيه استرليني لشركة رويال افريكان لتنفيذ ما اصدره مجلس العموم البريطاني من قرارات بهذا الشأن[24].

---

[22]. فيج جي دي، المصدر السابق، ص149.

[23]. (Sven Daniel Outram Leman< The Nature of Brittish Mapping of West Africa 1749- 1841, 2017, P.P . 42-73.

[24]. (Lbid, pp. 75- 76.)

أ. م. د. ستار حامد عبد الله العماري

أ.م. د. الهام حمزة منسي

اثارت تلك التطورات حفيظة فرنسا التي سارعت الى محاولة الاستيلاء على القدع والحصون الواقعة في غامبيا وهذا ما ارغم السلطات البريطانية على الدخول في سلسلة مخاطبات مع نضيرتها الفرنسية انتهت بتوقيع معاهدة باريس عام 1763 منحت فيها حصن الجور لفرنسا في حيث احتفظت بريطانيا لنفسها بمعظم الاراضي التي استولت عليها في غرب افريقيا وضمنها الى غامبيا وتأسيس مستعمره سنجامبيا وكانت هذه خطوة ذات اهميه بالغة بالنسبة لبريطانيا، فأنها مثلت محاولة اولى لها في الاخذ على عاتقيها مسؤولية ادارة تلك المنطقة من القاره الأفريقية، اذ كانت تلك الإدارة والمصالح البريطانية هناك قبل ذلك التاريخ تحت اشراف الشركات التجارية البريطانية وفيها بعد اصبح لتلك المستعمرة دستور خاص بها وضع الخطوط العريضة لأدارت الحكم فيها على غرار المستعمرات البريطانية في البلدان الاخرى، فنص على ان يكون لها حاكم ملكي ومجلس يتكون من عدد من الاعضاء بطريقة التعيين المباشرة يأخذ على عاتقه مساعدة الحاكم في امور المستعمرة بشكل عام واتبعت بريطانيا سياسة اقتصادية في ادارتها لتلك المستعمرة جاءت بناء سلبية على الواقع العام لها، تمثلت في الاعتماد على الضرائب المرفوضة على التجار الفرنسيين بعد ان سمحت السلطات البريطانية بالقيام بالتبادل التجاري مع سنجامبيا لسد نفقات الاخيرة، وهذا تسبب في عجز مالي واضح لها بعد ان تنصل بعض هؤلاء التجار الفرنسين عن تسديد تلك الضرائب [25].

وفي عام 1779 عاد الفرنسيون مرة اخرى محاولاتهم في السيطرة على غامبيا انتهت باستيلائهم على جزيرة جيمس فورت، وتزامن ذلك مع حرب الاستقلال الأمريكية التي كانت فيها فرنسا تشكل حليفاً قوياً للمستعمرات، وهذا ما ارغم بريطانيا على الدخول في سلسلة من المفاوضات انتهت بتوقيع معاهدة فرساي عام 1783 تنازلت فيها الأخيرة لفرنسا عن الحصون امتيازات تجارة الصمغ في جوري (Goree) وبروتنديك (Protendic) وارغين(Arguin) في حين احتفظت بريطانيا بامتيازاتها التجارية مع غامبيا والتي تعود الى شركات التجارية وليس الى السلطات البريطانية، وبهذا لم تعد غامبيا مستعمرة بريطانية، ومنحت الأخيرة ايضا امتياز تجارة الصمغ في السنغال، وان تحصل فرنسا على حصة مماثلة لها في تجارة غامبيا، وبذلك تكون فرنسا عائدة مره اخرى الى غامبيا[26].

---

[25]. فيج دي جي، المصدر السابق، ص158- 165.

[26]. (John Purdg,Memoir Descriptive and Explanatoy to Accompany the new CHART OF THE Atantic Ocean and comprring Instructions General amd particular the Navig ution of that sea , Lon don, 1825, p. 166.

وعلى صعيد اخر ادركت بعض الدول الأوروبية ومنها بريطانيا بأنه لا ضرورة لإستمرار تجارة العبيد وشرائهم من افريقيا وبيعهم الى الولايات المتحدة الأمريكية، لاسيما وان الكنيسة الكاثوليكية حرمت العمل بتجارة العبيد الذي كانوا يتعرضون الى الاضطهاد والظلم واقسى انواع العقوبات من اسيادهم، فعبيد افريقيا يباعون ويشترون الماشية فيحق لصاحب الرق التصرف في رقيقه كما يشاء دون محاسبة او تدخل من السلطات، وللحد من تلك الظاهرة ظهرت جماعات منظمة اخذت على عاتقها القيام بحملات اعلاميه وضحت فيها للمجتمع في بريطانيا الاضرار الناجمة عن تجارة الرقيق غير الشرعية والظلم الذي كان يتعرض له هؤلاء من اسيادهم، ومن هذه مسؤولي هذه الجماعات هو جرانفيل شارب (Grannvill Sharp)وتوماس كاركسون (Thomas Glarkson) ووليم ويلبرفورس (William Waper Forse) وتمكنت تلك الجماعات من اقناع كبير قضاة انكلترا (Lord Chief Justic of England) واللورد منسفليد (Lord Mansfield) بأن تجارة الرق امست امراً مثيراً للكره والمقت وبعيد عن الإنسانية لذا ناشد كبير القضاة واللورد منسفيلد السلطات البريطانية بضرورة مساندة تلك الجماعات المنظمة واصدار قانون للحد من ظاهرة العبودية فلاقى ذلك قبولاً من تلك السلطات التي اصدرت قراراً نص على (ان اي عبد يدخل بريطانيا يعد حراً تلقائيا) وفي عام 1807 اصدر البرلمان الانكليزي قانوناً جاء فيه (انه ينبغي على الرعاية البريطانيين الذي يعملون في تجارة الرق الأفريقية التخلي عنها لأنها تجارة غير شرعية)[27].

ومع ذلك ونتيجة لضعف المؤسسة العسكرية في غامبيا استمرت بعض الدول الأوروبية بالعمل في تجارة الرق منها اسبانيا فضلاً عن تزايد عمليات القرصنة ضد السفن البريطانية التي كانت تقوم بعمليات التبادل التجاري ذات الشرعية في نهر غامبيا، لذا اوصى اللورد تشارلز ناكارثي (Charles Naccarthy) السلطات البريطانية بضرورة تأسيس وبشكل فوري حاميات عسكرية في غامبيا بيد ان السلطات البريطانية لم تستجيب لذلك، واستمر ذلك الحال في غامبيا حتى عام 1814 عندما عقدت معاهدة باريس التي اعطت فيها فرنسا حق الاحتفاظ بجميع اراضيها التي كانت تحت هيمنتها منذ عام 1792، وبهذا تكون مدينه البيردا، وحظ جوري ولويس في غامبيا تابعه لها[28].

ولم يكن ذلك نهاية الصراع والتنافس بين بريطانيا وفرنسا في غرب افريقيا، ففرنسا كانت تقدم محاكاة اي تقدم بريطاني هناك لتحقيق فوائد اقتصادية، وتغيير الوضع السياسي القائم فيها بما يقدم مصالحها الاستراتيجية[29]، ومما زاد من قوة التنافس والصراع بين البلدين هو استيلاء البريطانيين على معظم المراكز

---

(27) فيج جي دي، المصدر السابق، ص226– 227.

(28) Fiorence. K. Omolra Mahoney, Op Cib, PP.24– 25.

(29) ا. ج. هو بكنز، التاريخ الاقتصادي لافريقيا الغربية، ترجمة احمد فؤاد بلبج، الاسكندرية، 1997، ص222– 223.

والحصون الفرنسية في غرب القاره الأفريقية[30]، فبعد مده وجيزة من عام 1814 قامت فرنسا بتأسيس مراكز تجارية اخرى في غامبيا وفرض سيطرتها على نهر غامبيا ايضا، وكان ذلك يحدث بعيداً عن مسامع القائد السكندر غراند(Alexander Grant) الذي لم تكن لديه اي معلومات عن اختراق فرنسا لمعاهدة عام 1814 وتطوير الأمر الى تكبيد تجار الأخيرة لنظرائهم من بريطانيا خسائر كبيرة في غامبيا بواسطة الاحتكار ووسائل اخرى فضلاً عن حرمانهم من صيد الاسماك في النهر المذكور اعلاه وروافده، وفي الوقت نفسه قام بعض سكان غامبيا بنهب وسلب بعض السفن التجارية التابعة لبريطانيا[31]، وبعد وصول انباء تلك التطورات الخطيرة الى مسامع السلطات البريطانية ادركت فيها الأخيرة ان احتلال غامبيا والسيطرة عليها امست ضرورة ملحة، لا سيما ان توجد جهة مقتنعة لذلك الاحتلال تمثلت فيما ذكرناه انفاً حول تنصل الفرنسيين عن معاهدة 1814، لذا وبناءً على توصيات اللورد باثهورست (Lord Bothurst) اوعزت السلطات البريطانية الى حاكم سيراليون اليسد تشارلز مالك كارثي بتنفيذ مهمة تأسيس مستعمرة بريطانية في غامبيا ،لذلك ارسل الى السيد الكسندر غرانت بضرورة تنفيذ ذلك الأمر فبدأ بسلسلة مباحثات مع ملك كومبو في اذار عام 1816 انتهت بموافقة الاخيرة في التاسع عشر من الشهر والعام نفسه على ايجار جزيرة بانجول (Banjul) التي كانت على الضفة الجنوبية لمصب نهر غامبيا الى بريطانيا وبذلك اصبحت مستعمرة بريطانية واطلق عليها اسم جزيرة سانت ماري (St,Marys) [32].

وبعد ان وضع البريطانيين موضع قدم لهم في تلك الجزيرة قاموا بتشييد بعض المباني العامة والسكنات العسكرية والمراكز الإدارية لتسهيل عمليه ادارة الأوضاع العامة في تلك المستعمرات ومن اجل حفظ الأمن والنظام وضمان دون تعرض مصالح بريطانيا للخطر هناك ارسلت الأخيرة بعض قوات الفيلق الافريقي البريطاني الى جزيرة سانت ماري، وتعرضت تلك القوات الى موجه من الامراض والأوبئة التي كانت

(30). عبد اللة عبد الرزاق ابراهيم وشوقي الجميل، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، دار الزهراء، الرياض، 2002، ص301.

(31). R. Montgom erg Martin, F. SS., Histtory of the British Possessionsin the Indian Atlantec Oceans, Londor,Laas, P.P.250- 253.

(32). William Fox, Arief History of the weseleyan missions on the west of Africa, Londom, 1850, PP. 261- 262.

تنتشر بين مده واخرى كان هناك ضحيتها عدد من المقاتلين، فعززت بريطانيا هذه القوات بأخرى لديمومة السيطرة على الاوضاع العامة في تلك الجزيرة[33].

اما القانون والقضاء فكان هو الخطوة الاولى نحو انفصال غامبيا عن سيرالون، فعلى الرغم من عدم رغبة بريطانيا في ذلك الانفصال، الا ان التأخير في البت ببعض المشاكل والقضايا المهمة التي تمس حياة المواطن في غامبيا ادت الى هذه النتيجة وتكوين ادارة مستقلة بذاتها عن ادارة سيراليون، فمثلاً كانت المحاكم القضائية الخاصة ببعض القضايا الخطيرة في غامبيا لا يمكنها البت في اي قضية في هذا المضمار الا بعد وصول قاضي من سيراليون ليتولى البت في الحكم، وهذا قد يتأخر لعدة شهور لحين وصول ذلك القاضي، لذلك انفصلت غامبيا عن سيرالون في 24 من حزيران عام ..... واعلنت مستعمره مستقله لها حاكمها ومجلسها التشريعي والتنفيذي والقضاء الخاص بها[34].

الخاتمة:

1. اثبت التأريخ ان غامبيا ذات اهميه استراتيجية واقتصادية كبيرة جاءت من موقعها الجغرافي المهم وهذا ما اسهم في تزايد حدة التنافس الدولي حولها لضمان الحصول على الامتيازات الاقتصادية في عدة مراحل تاريخية كانت فيها تلك الدول المنافسة بأمس الحاجة لذلك للنهوض بواقعها الاقتصادي وجعل منها محطة تجارية للتزايد التبادل التجاري ليس مع غامبيا التي تواجه المحيطة الاطلسي فقط انما مع معظم دول غرب افريقيا.

---

(33) Matthew James Pav, OP. Cib, P. P. SO– SS.

(34) Ipid,P.SS.

2. لم تكن الدول الأوروبية هي السباقة في محاولة الحصول على موطئ قدم في غامبيا اذ من الملاحظ ان مملكة غانا هي اول من فرض سيطرته على ذلك البلد.
3. كانت للاستكشافات الجغرافية اثرها البالغ في تزايد حدت التنافس الأوروبي في غامبيا والذي كانت فيه البرتغال هي السباقة في خوض ذلك المضمار.
4. اخذ التنافس الانكليزي الفرنسي الحيز الاكبر في غامبيا وهذا ان دل على شيء انما يدل على العداء التاريخي بين تلك الدولتين، والذي استمر لعدة قرون متتالية.
5. كانت بريطانيا هي صاحبة الحظ الأوفر في الحصول على معظم الامتيازات الاقتصادية في غامبيا لاسيما وانها كانت وما زالت ذو حنكة سياسية مكنتها من تنفيذ خططها الاستعمارية دون الخوض في حروب عسكرية، وهذا ما وجدناه في شركتها التجارية التي هي في واقع الأمر شركات استعمارية ذو اتجاهات سياسية واقتصادية بعيدة المدى

قائمة المصادر والمراجع:

1. محمد رياض، افريقيا دارسة لمقومات القارة، دار النهضة العربية، بيروت، 1992.
2. رنيس بولم، الحضارات الافريقية، ترجمة علي شاهين، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، 1974.
3. احمد طاهر، افريقيا فصول من الماضي والحاضر، دار المعارف، القاهرة، 1975.
4. ابراهيم محمد احمد يلولة، الهجرات والقوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى واثرها في نشر الاسلام والحضارة الاسلامية، مجلة دراسات دعوية، العدد 9، 2005.
5. عبد عثمان بيتمي، التعليم العربي والسلامي في غامبيا بين الواقع والمستقبل، د.م، 2018.
6. الموسوعة الجغرافية للعالم الاسلامي، الرياض، 1999.
7. نعيم قراح، افريقيا الغربية في ظل الاسلام، مطبعة الوحدة العربية، دمشق، 1960، ؛ فيج جي وي، تاريخ غرب افريقيا، ترجمة السيد يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة، 1983.
8. عصمت عبد اللطيف دنتش، دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب افريقيا، 1038- 1121، دار العربي الاسلامي، بيروت، 1988.
9. احمد ابراهيم دياب، افريقيا بين المفاهيم الحضارية والممارسات العنصرية، مجلة دراسات افريقية (بحوث نصف سنوية)، العدد الرابع، رجب، 1989.

10. التاريخ الاقتصادي لافريقيا الغربية، ترجمة احمد فؤاد بلبج، الاسكندرية، 223،1997.
11. عبد اللة عبد الرزاق ابراهيم وشوقي الجميل، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، دار الزهراء، الرياض، 2002.
12. Melissa marang, Gambian English syntactic Fratures of awest Afreican Varity of the English LANGUAGE, Graz, 2019.p.13.
13. Flovrrnce K. Omolava Mahoney, Government and Opinion the Gampin 1816- 1901, Landon, 1963, P. 12.
14. Florence K,ad Omoiara Mahoney ,OP,Cit,P,1,
15. Matthew James Park, Heart of Barjwl the History the Gambia 1816,1965
16. Matthew James Park , OP , P3.
17. Faal .Juvenile Deling uency in The Gambiag Banjul. 1974. P.63. Edrissa M. O
18. MELISSA Marong Gambian English Syntactic Features of awest African Variety of the English Language. 2019.P.14.
19. I pid. P. 14.
20. Mattew Games Park, OP. Cit, P.3.
21. Sven Daniel Outram Leman< The Nature of Brittish Mapping of West Africa 1749- 1841< 2017, P.P . 42-73.
22. John Purdg,Memoir Descriptive and Explanatoy to Accompany the new CHART OF THE Atantic Ocean and comprring Instructions General amd particular the Navig ution of that sea , Lon don, 1825, p. 166.
23. Fiorence. K. Omolra Mahoney, Op Cib, PP.24- 25.)·1(
24. R. Montgom erg Martin, F. SS., Histtory of the British Possessionsin the Indian Atlantec Oceans, Londor,Laas, P.P.250- 253.
25. William Fox, Arief History of the weseleyan missions on the west of Africa, Londom, 1850, PP. 261- 262.
26. Matthew James Pav, OP. Cib, P. P. SO- SS.